

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

الحديث المنظوم في شموخ رتبة المعصوم

و بالرغم من الإمكان الذاتي للسهو والإسهاء والتوم والإناتمة بحق المعصوم - لأنّه ممكّن الوجود ومحاج لربه- إلا أنها مستحيلة وقوعاً، و ذلك وفقاً لتواتر الروايات الصارخة بقمة شأنهم الرفيع.

1. و الرواية التالية ستكشف عن هذه الشائنة البليغة: «وَعَنْهُ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّدِنَا عَنِ الْمُخْتَارِ عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَيْنَهُ طَلَبَ أَبُو ذَرٍّ رَحْمَةَ اللَّهِ رَسُولَ اللَّهِ صَفِيلَ لَهُ إِنَّهُ فِي حَائِطٍ كَذَا وَ كَذَا فَتَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَوَجَدَهُ نَائِماً فَأَعْظَمَهُ أَنْ يَتَبَاهَهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَبْرِي نَوْمَهُ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَخْدُعْنِي، أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي أَرَى أَعْمَالَكُمْ فِي مَنَامِي كَمَا أَرَاكُمْ فِي يَقْظَاتِي إِنَّ عَيْنِي تَنَامُ وَ قَلْبِي لَا يَنَامُ.» [1]

2. «بَابُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْكَوْنِ مَعَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَلْوَشَاءِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِدٍ عَنْ أَبِي ذِئْنَةَ عَنْ بُرِيدٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلَيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «إِنَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [2]» قَالَ إِيَّا نَا عَنِي.» [3] فقد أطلق تعالى الكون مع الصادقين معدماً حدوث السهو والإسهاء تبعاً أيضاً - وبكلّ وضوح -.

3. «بَابُ أَنَّ أَهْلَ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمْرَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِسُوَالِهِمْ هُمُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ أَلْوَشَاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «فَسَتَّلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [4]» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْذِكْرِ أَنَا وَ الْأَئِمَّةُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَإِنَّ لِذِكْرِكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سُوْفَ تُسْتَلُونَ» [5] قَالَ أَبُو جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْنُ قَوْمُهُ وَ نَحْنُ الْمَسْتُوْلُونَ.» [6]

4. بَابُ أَنَّ مَنْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالْعِلْمِ هُمُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: عَلَيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيْرَةِ عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ سَعْدٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» [7]» قَالَ أَبُو جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا نَحْنُ «الَّذِينَ يَعْلَمُونَ» وَ «الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» عَدُوُّنَا وَ شَيْعَتُنَا «أُولُوا الْأَلْبَابِ» [8].

5. «بَابُ أَنَّ الرَّأْسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: عِدَّةٌ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْنَّضْرِ بْنِ سُوْدَيْدٍ عَنْ أَبُوبَنِ الْحُرِّ وَ عِمْرَانَ بْنِ عَلَيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: نَحْنُ «الرَّأْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» وَ نَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلِهِ.» [9]

و عقيب ما استجلبنا في حق الموصومين تلك الروايات العالية ذات المحتويات الغالية، فقد انصدمنا حينما استنف المحقق الخوئي - سندًا و دلالة - لبعض هذه المضامين الوهاجة، فلما تناول السيد الزيارة الرجبية القائلة:

«أَخْبَرَنِي جَمَاعَةُ عَنْ أَبْنِ عَيَّاشَ قَالَ مِمَّا خَرَجَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ (النَّائِبُ الْأَوَّلُ): أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنِ النَّاحِيَةِ الْمُقْدَسَةِ مَا حَدَّثَنِي بِهِ جُبَيرٌ[10] بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَتَبْتُهُ مِنَ التَّوْقِيْعِ الْخَارِجِ إِلَيْهِ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ادْعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ رَجَبٍ - : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعْنَانِي جَمِيعَ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وَلَأَهُ أَمْرُكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ الْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ فَجَعَلْتُهُمْ مَعَادِنَ لِكَلَامِكَ وَ أَرْكَانًا لِتَوْحِيدِكَ وَ آيَاتِكَ وَ مَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ يَعْرُفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهَا (الكلمات) إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ خَلْقُكَ فَتَقْهُ وَ رَتْقُهَا بِيَدِكَ بَدُؤُمَا مِنْكَ وَ عَوْدُهَا إِلَيْكَ أَعْضَادٍ وَ مُنَاهَةً وَ أَذْوَادٍ وَ حَفَظَةً وَ رُوَادٌ فِيهِمْ مَلَائِكَ وَ أَرْضَاكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...»[11]

فسرع السيد بقدحها قائلًا:

«خَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَوَى تَوْقِيْعًا عَنْ أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ، وَ رَوَى عَنْهُ أَبْنِ عَيَّاشَ، ذَكْرُهُ الشَّيْخُ فِي مَصْبَاحِ الْمُتَهَجِّدِ فِي أَعْمَالِ شَهْرِ رَجَبٍ.

أقول: هو مجھول الحال و ابن عياش ضعيف، و تقدم بعنوان أحمد بن محمد بن عبید الله، و مضمون التوقيع الذي أوله «الله إني أسائلك بمعانى جميع ما يدعوك به ولأه أمرك» غريب عن أذهان المتشرعة و غير قابل للإذعان بتصوره عن الموصوم (ع).»[12].

و حيث قد استعجبنا من هذه المقالة المهزوزة فسنُحاوِجه بالإجابات التالية:

1. أولاً: لقد تكاثرت أشباه هذه المضامين البليغة و الرفيعة لدى أقيانوس الروايات كنهج البلاغة و الصحيفة السجادية و الأدعية المأثورة بحيث ربما لا يعيها الفلاسفة أيضًا - فضلًا عن المتشرعة - كما تُعَانِي المعانى الدقيقة و العميقه ضمن «دعا السحر» و «الجامعة الكبيرة»[13] فهل تخلّى عنها بمجرد «غرابتها عن أذهان المتشرعة»؟ بل بالعكس إن سُمُّ بلاغتها و مداليلها الشامخة قد برهنت على أنها لم تصدر إلا عن الموصوم.

2. ثانياً: ليس المقياس في حجية الأدعية و المضامين أن يُطابق ذهنية المتشرعة تماماً، فكم من فقرات و معانٍ - ضمن الأدعية و الزيارات و.... - لا يستوعبها سوى الموصوم، نظير الزيارة الرجبية، فهل يعني ذلك أنها مرفوضة و متبؤنة؟

3. ثالثاً: إن فقرة «لا فرق بينك و بينها إلا أنهم عبادك» لا تستدعي ضعفها إذ «عدم الفرق» يَتَحدَّثُ حول الصفات الإلهية فحسب - لا عدم الفرق في الذات الإلهي - بحيث إن الموصوم يَتَمَتَّعُ بكلّة السمات الإلهية و يُعَدَّ مَظهراً مُتجلياً لأسمائه تماماً فإنه تعالى قد منّها له خصيّصاً له، و في نفس الحين يُعَدَّ من عباده و محتاجه بالكامل، و ذلك وفقاً لصراحة الأدلة التالية:

Ø «عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «نَحْنُ وَ اللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى الَّتِي لَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا». [14]

Ø «قُلْ كُفِّيْ بِاللَّهِ شَهِيداً بِيْنِي وَ بِيْنَكُمْ وَ مَنْ عَنْهُ عِلْمُ الْكِتَابِ». [15]

Ø «وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَيْضًا - : «إِيَّاكُمْ وَ الْغَلُوْ فِينَا، قُولُوا: إِنَّا عَبِيدُ مَرْبُوبِونَ، وَ قُولُوا: فِي فَضْلِنَا مَا شَئْنَا». [16] فِي الْتَّالِي لَمْ يُشَارِكِ الْمَوْصُومُ مَعَ الذَّاتِ الإِلَهِيِّ كَيْ يُعْتَرَضَ عَلَى مَحْتَوِي الْزِيَارَةِ الرَّجَبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَعْدِ، بَلِ الْهَدْفُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ تَعَالَى وَ بَيْنَهُ فِي الصَّفَاتِ وَ التَّجَلِّيَّاتِ وَ الْأَسْمَاءِ وَ مَا شَاكَلَهَا.

بل لو افترضنا الاتحاد من **البعد الذاتي الإلهي** لأصبح الاستثناء - إلا أنهم عبادك - منقطعاً بينما الظاهر المتبادر المحتموم هو المتصل أي أنهم لا يختلفون في دائرة الصفات الإلهية إلا من جهة العبودية و الشّمة الإنسانية.

أجل لو فسّرنا «عدم الفرق» باتحادهم مع **الذات الإلهي** لعارض النّص القرآني التالي: «ليس كمثله شيء» فإنه تعالى قد مسح أبعاد **الجسمية** و **الإمكانية** عن ذاته، و لكن الزيارة الرّجبيّة قد صرّحت بالاستدراك - إلا أنهم عبادك - كي لا تتوّلد أية واهمة - المثلية -.

[1] بصائر الدرجات، ج 1، ص 421. وقد أسلفتُ أشباه هذه الرواية أيضاً، ضمن براهين صاحب الجوادر الماضية، فلاحظها بأسرها.

[2] التوبة: ١٢٠.

[3] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميّه). Vol. 1. ص 208 تهران - ایران: دار الكتب الإسلامية.

[4] النحل: ٤٥.

[5] الزخرف: ٤٣.

[6] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميّه). Vol. 1. ص 210 تهران - ایران: دار الكتب الإسلامية.

[7] الزمر: ٩.

[8] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميّه). Vol. 1. ص 212 تهران - ایران: دار الكتب الإسلامية.

[9] نفس الينبوع ص 213.

[10] ولكن في بعض النسخ: خير: (الف و ب و هامش ج).

[11] طوسي محمد بن حسن. مصباح المتهجد. Vol. 2. ص 803 بيروت - لبنان: مؤسسه فقه الشيعة.

[12] خوئي سيد ابوالقاسم. معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواية. Vol. 8. ص 87.

[13] السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَمَهِيطِ الْوَحْيِ وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ وَخُرَانِ الْعِلْمِ وَمُنْتَهِيِ الْحَلْمِ وَأَصْوَلِ الْكَرَمِ وَقَادَةِ الْأَمَمِ وَأُولَيَاءِ النِّعَمِ وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةِ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبَلَادِ وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَأَمَاءَ الرَّحْمَنِ وَسُلَالَةَ النَّبِيِّنَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِتْرَةَ حِبَّرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولَى الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى[13] وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُثَلِّ الْأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى[13] وَحُجَّ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ[13] السَّلَامُ عَلَى مَحَالِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَذُرَّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاتِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْرِيْنَ فِي أَمْرِ اللَّهِ[13] وَالْتَّامِيْنَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ[13] وَالْمُخْلِصِيْنَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهَرِيْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِيْنَ الَّذِيْنَ «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُوْنَ» وَرَحْمَةُ اللَّهِ.....» (من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 609)

[14] (الكافي: باب النوار من كتاب التوحيد: ١٤٤/١، ح ٤.)

[15] سورة الرعد، الآية 43.

[16] بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٠، الحديث ١٥، نقلًا عن الخصال.